

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد .
فإن أولى ما صُرِفَتْ الهِمَمُ لتحصيله ، وأَعْمِلَ الفكر في فهمه ، هو العلم الذي يحصل
به فهم القرآن والسنة ، وهو علم النحو ، قانون العربية .

ولابد لمن أراد تحصيل علم النحو من تحصيل أصوله التي بُنِيَ عليها فبقدر التَّمَكُّن
من الأصول النحوية يتفاوت الناس في علم النحو .

ولما كان الأمر كذلك أنعمت النظر فيما بُحِثَ من أصول النحو فألفت جل مباحثه
قد أشبعت بحثاً ودراسة فقد أَلْفَ في بعض الأصول النحوية أكثر من كتاب ، وقامت عليه
أكثر من دراسة كالسماع والقياس ، والعلة ، والاستصحاب وغيرها .

أما الإجماع فلم يكتب فيه شيء على أهميته المتمثلة في عناية النحويين به أتم عناية ،
فهم يحتاجون به ، ويمنعون خلافه ، ولا أدل على ذلك من أن كتاباً واحداً وهو شرح
التسهيل لابن مالك وقعت فيه على أكثر من مائة وسبعين (١٧٠) مسألة وكذا الإنصاف
للأنباري فيه ما يزيد على (١٣٠) مائة وثلاثين مسألة .

وقد عجبت من هذا التفاوت الكبير بين عناية النحويين بالإجماع عند التطبيق حتى
لاتكاد تخلو صحيفة من كتب النحو من حكايته والاحتجاج به ، وبين إغفاله في كتب
أصول النحو إلا من إشارات قليلة عند ابن جنى في الخصائص ثم السيوطي في الاقتراح
على أنه نقل كلام ابن جنى ، ولم يفصّل فيه تفصيله في السماع أو القياس والعلل .

ولما رأيت عناية النحويين بالإجماع في كتب الفروع النحوية شمرت عن ساعد الجذ
في كشف القناع عن هذا الأصل والتصدي لهذا البحث .

وقد دفعني إلى المضي في هذا الموضوع أمور منها:

(١) أن هذا الأصل لم يأخذ حقه من الدراسة والتفصيل كباقي الأصول النحوية.
(٢) أنه مصطلح يضاف كثيراً لأهل الاحتجاج في فروع كثيرة من الدراسات اللغوية ، فكثيراً ما يلوح للدارس في هذه الفنون: إجماع العرب ، وإجماع النحويين ، وإجماع القراء ، وإجماع الرواة ، وإجماع اللغويين ، والبيانين ، وغيرهم.
(٣) أنه من الأصول التي تمثل الارتباط القوي الواضح بين علم أصول النحو وأصول الفقه.

(٤) أن بعض الدارسين في الوقت الحاضر يستعمل هذا المصطلح في غير ما وضع له ، بل عكسه ، فهو يدعو إلى أن يكون إجماع المتكلمين اليوم من الأدباء والشعراء حُجَّةً في العربية وإن كان مقطوع الصلة بماضيه مخالفاً ما صح عن العرب الذين أخذت قواعد النحو والصرف مما ثبت عنهم ، وهذا مما يؤكد ضرورة بحث هذا الموضوع وتجليته^(١).

(٥) إدراكي أن لهذا الأصل أثراً كبيراً في حماية قواعد النحو من جرأة الثائرين على ما قرره النحاة باسم التجديد والتيسير.

(٦) ومما دفعني لاختيار هذا الموضوع أيضاً كثرة كلام المعاصرين حول تجديد النحو وتيسير صعوبته الناشئة عن كثرة الخلافات والأقوال المتشعبة فيه ، فأردت - بتوفيق الله - أن يكون هذا البحث لبنةً صالحةً في بناء النحو العربي الذي يقوم على قواعد صُلْبَةٍ وأسس ثابتة.

لذلك كله اخترت موضوع:

الإجماع في النحو العربي

دراسة أصولية نحوية

ليكون مراقبة للحصول على درجة الماجستير في النحو والصرف.

(١) انظر ص ٣٧٠ من هذا البحث.

وقد واجهت صعوبة ومشقة في هذا البحث ترجع إلى أمور منها:

وعورة المسلك في هذا البحث لندرة مرتاديه بخلاف البحوث الأخرى التي تتناول موضوعاً قد سبقَ الباحث إلى مثله، فطريق هذه البحوث لاحب ، والسائرون فيه كثير ، فقد لاقيت مشقة في التخطيط لهذا البحث وتفصيل فصوله ومباحثه حتى استقامت لي الخطة واستنار لي الطريق .

وقد لاقيت مشقة أيضاً في قلة مراجع هذا البحث ، لقلّة ما كتب عنه في كتب أصول النحو .

فكان عليّ أن أجردَ مُطَوَّلَاتِ النحو ومشهور كتبه في العصور المختلفة حتى أستخرج منها ما يتصل بالبحث لأن البحث عما يتصل بهذا الموضوع ليس له مظان معينة في كتب النحو ، كما في المسائل النحوية فإنك تعرف مكانها مع اختلاف مناهج النحويين في التأليف .

ولأن البحث له صلة بأصول الفقه ، فقد تعاملت مع كثير منها بقراءة مباحث الإجماع لاستخراج ما قالوه عن الإجماع النحوي ، إذ لهم السبق في التأليف في هذا الفن ، ومعلوم ما في ذلك من المشقة والجهد .

خطة البحث

أما خطة هذا البحث فتقوم على مقدمة وتمهيد وستة فصول وخاتمة .

فالمقدمة بينت فيها أسباب اختيار الموضوع ، وما واجهني في سبيل بحثه من المشقة ، ثم فصلت خطة البحث وبينت شيئاً من الجهد الذي بذلته فيه .

أما التمهيد فقد عقدته للإجماع عند النحويين والأصوليين ، ولم أرد بذلك الموازنة بينهما في اعتماد ذلك الأصل وإنما قصدت بيان الصلة بين النحو وأصوله والفقه وأصوله لاعتمادهما على الإجماع .

وفيه ثلاثة مباحث: الأول منها في تعريف الإجماع في اللُّغة ، والثاني: في تعريفه في

أصول الفقه ، والمبحث الثالث: في تعريفه في أصول النحو، و أما المبحث الرابع ففي بيان الصلّة بين النحو وأصوله والفقه وأصوله، وكان هذا المبحث في أربعة مطالب في أولها تعريف هذه العلوم ، وفي المطلب الثاني بيان صلة النحو بأصول الفقه ، وفي الثالث الصلّة بين النحو والفقه ، وأما الرابع فكان في بيان الصلّة بين أصول النحو وأصول الفقه.

والفصل الأول: تطور مصطلح الإجماع عند النحويين.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: في الإجماع قبل سيبويه .

والمبحث الثاني: الإجماع عند سيبويه.

المبحث الثالث: الإجماع بعد سيبويه إلى وفاة ابن جنبي.

وقد اشتمل هذا المبحث على أربعة مطالب:

المطلب الأول: الإجماع عند الفراء.

والمطلب الثاني: الإجماع عند المبرّد.

والمطلب الثالث: الإجماع عند الزجاج.

والمطلب الرابع: الإجماع عند ابن جنبي.

ثم المبحث الرابع وهو استقرار المصطلح عند المتأخرين ، وفيه بيان عناية المتأخرين بهذا الأصل. وقد شمل خمسة مطالب ، جعلت كل واحد منها لعلم من أعلام النحو فالأول: الإجماع عند أبي البركات الأنباري ، والثاني الإجماع عند ابن مالك ، والثالث الإجماع عند أبي حيان ، والرابع: الإجماع عند ابن هشام، وأما الخامس فكان للإجماع عند السيوطي.

وقد اخترت هؤلاء الأعلام لمكانتهم في النحو ، وانتشار مؤلفاتهم ، وما تركوه من أثر كبير في النحو ، ولأن الاستقصاء ليس مقصوداً في الدراسة، بل الغرض بيان حال الإجماع عند النحويين على امتداد تاريخه وهو حاصل بهؤلاء، وهذا عن أفرادهم بالدراسة أما الكتب فلم أقتصر على ما قرأته من كتبهم ، بل قرأت كتباً أخرى كثيرة وأخرجت منها ما

يتعلق بالإجماع.

أما الفصل الثاني فقد عقدته لبيان حُجِّية الإجماع ومواقف العلماء منها ، وقد اشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأوَّل: مواقف العلماء من الاحتجاج بالإجماع.

والمبحث الثاني: في الأدلة النقلية والعقلية على حجية الإجماع.

والمبحث الثالث: في معنى الحجية في هذا الباب وما يترتب على القول بحجية الإجماع.

والمبحث الرابع: في تركيب المذاهب ، وبيان حقيقته وحكمه والتمثيل عليه.

والمبحث الخامس: في إحداث قول ثالث ، وبيان حقيقته وحكمه والتمثيل عليه.

وأما الفصل الثالث: فقد كان عن مستند الإجماع .

و في هذا الفصل بيان الأدلة التي يستند إليها الإجماع وهي قسمان:

الأدلة النقلية وتشمل: القرآن الكريم وقراءاته والحديث الشريف وكلام العرب

شعره ونثره. الأدلة العقلية وتشمل:

القياس و العلة والاستحسان والاستصحاب والاستقراء ، ثم بعد ذلك الأمثلة

التطبيقية النَّحْوِيَّة لما سبق.

أما الفصل الرابع فقد جعلته لأركان الإجماع ، وجاء هذا الفصل في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المجمعون ، والثاني في الركن الثاني من أركان الإجماع وهو الاتفاق ، والثالث

في الركن الثالث وهو المجمع عليه.

وأما الفصل الخامس فهو عوائق الإجماع وجعلته في ستة مباحث هي:

الأول في اختلاف مناهج النَّحْوِيِّين ، والثاني في اختلاف الاتجاهات السِّياسِيَّة ،

والثالث في أثر الاختلاف في المذهب العقدي ، والرابع في الموقع الجغرافي وأثره في الخلافات

النحوية ، والخامس في العصبية المذهبية ، والسادس في التفاوت في العقول والمدارك وقدر

المحصول وأثره في وجود الخلاف وإعاقه الإجماع ، مع ذكر أمثلة تطبيقية على كل ذلك.

وأما الفصل السادس والأخير فقد جعلته في الإجماع عند المحدثين وهو في ثلاثة
مباحث: أما الأول فكان عن آراء المحدثين في الاحتجاج بالإجماع في النحو ، وأما الثاني
فكان في الإجماع في الهيئات اللغوية المتخصصة وأما المبحث الثالث فهو في أثر الإجماع في
تيسير النحو وحمایته.

وقد عنيت بعزو الآيات ، وضبطها ضبطاً تاماً ، وتخريج القراءات من مصادرها ،
وكذا الأحاديث وضبطها ، أما الأشعار فخرجت غالبها وضبطتها بالشكل التام وترجمت
للأعلام ، عدا من اشتهر منهم فقد أغفلت ترجمته ، وعرفت بالأماكن الواردة في البحث كل
ذلك على وجه الاختصار وقدر الحاجة.

ولم ألتزم بذلك كله عدا تخريج القراءات والأحاديث والضبط بالشكل لأن
استقصاء ذلك كله من واجب المحقق.

ومما ينبغي التنبيه عليه هنا أن هذا البحث في أصول النحو ، والغرض منه الكشف
عن هذا الأصل من أصول الاحتجاج النحوي ، ولم يكن غرضي تحقيق المسائل النحوية ،
وإنما أذكرها لبيان المنهج والطريقة فالغرض هو طريقة الاحتجاج بالإجماع ، وليس ذات
المسألة النحوية ، وأما قولي: «دراسة أصولية نحوية» فالمقصود بها النسبة إلى أصول النحو.

وبعد ، فأقدم بالشكر لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ممثلة في كلية اللغة
العربية ، كما أشكر فضيلة رئيس قسم النحو والصرف وفقه اللغة السابق الدكتور محمد بن
عبد الرحمن المفدى على نصحه وحسن توجيهه ، وكذا الدكتور عبدالرحمن السلوم ، وكيل
القسم السابق ، كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر لرئيس قسم النحو والتصريف وفقه اللغة
الدكتور عبد الله بن سالم الدوسري ، ووكيله الدكتور عبد الرحمن بن محمد العمار، كما أخص
بالشكر الدكتور حسن الحفظي وكيل الكلية للدراسات العليا .

أما أستاذي المشرف على هذه الرسالة ، الأستاذ الدكتور. علي أحمد طلب فله أجزل
الشكر ، وأوفر التقدير على ما بذله معي من جهد ، وخصني به من نصح ، والحق أنني أفدت
منه أدباً وعلماً ، فقد كان مثلاً يحتذى في الحرص على الوقت وحسن استغلاله ، فشكر الله له

ما أولانيه ، وبارك له في عمره وولده وماله .
وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

الباحث:

دَحِيلُ بْنُ غُنَيْمِ بْنِ حُسَيْنِ الْعَوَّادِ

المعيد في كلية المعلمين بالرياض

في ١٨/١١/١٤١٥هـ .